

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### تعزيزُ الحوار حول آية الرتق

إن ظهور آية الرتق: أولم يرَ الذين كفروا أنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. يَدْعُمُ الْقَاعِدَةُ الرَّئِيسِيَّةُ الْفَلَسْفِيَّةُ أَنَّ بِسْطَ الْحَقِيقَةِ هُوَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. وَأَمَّا وَجْهُ التَّرَابُطِ مَا بَيْنَ الْآيَةِ وَالْقَاعِدَةِ فَقَدْ نَقَحَهُ الْأَسْفَارُ بِأَنَّ الرَّتْقَ هُوَ الْإِنْسَادُ بِحِيثِ يَنْضُمُ وَيَنْدَمْجُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضِهِ الْآخَرِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الشَّيْءَ الْأُولَى الْمَكْنُونَ فِي الْذَّاتِ الإِلَهِيَّ كَانَ مُسْنَدًا فِي ذَاتِ اللَّهِ ثُمَّ انْفَتَقَ وَانْشَقَ مِنْ وُجُودِ الْبَارِيِّ تَعَالَى فَاكْتَسَبَ وَجْهَهُ مَادِيًّا دُنْيَوِيًّا.

إِنْ فَالْآيَةُ لَا تَتَلَخَّصُ فِي الْمَادِيَاتِ بِلَ تُعْمَلُ الْمَجَرَّدَاتُ الْمَرْمُوزَةُ، وَذَلِكَ نَظَرًا إِلَى تَعْبِيرِهَا الْكَنَائِيِّ بِحِيثِ أَرَادَتْ أَنْ تُشَيرَ مِنْ خَلَالِ كَلْمَةِ "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" إِلَى مُطْلَقِ الْوُجُودِ الَّذِي قَدْ غَطَّى كَافَةَ الْوُجُودَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْمُتَنَاثِرَةِ مِنَ الْمَجَرَّدَاتِ وَالْمَادِيَاتِ.

### مُلَاحَظَاتٌ تجاه صاحب الميزان

1. لقد ترجمَ صاحبُ الميزان لفظَةً "الرَّتْقَ" بمعنى التصاق السماوات مع الأرضين ثُمَّ انْفَتَقَتْ وَتَفَتَّحتَ، وَهَذَا يَدُلُّ بِأَنَّهُمَا آنذاك كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا ثُمَّ انْفَصَلَتَا، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ تُضَادُ ظَاهِرَ الْآيَةِ وَالرَّوَايَةِ وَخَلَافَ الرَّوَايَةِ الْوَارِدَةِ ضَمْنَ الْكَافِيِّ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَنَّهُ سُئُلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَعْلَكَ تَرْزُعُ أَنَّهُمَا كَانَتَا رَتْقًا مُلْتَزِقَتَانِ مُلْتَصِقَتَانِ فَفُتَّقَتْ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى، فَقَالَ نَعَمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْتَغْفِرُ رَبِّكَ فَانَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: كَانَتَا رَتْقًا، كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُنْزَلُ الْمَطَرُ وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا (منضمةً بِنَفْسِهَا) لَا تُنْبِتُ الْحَبَّ فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ فَتَقَ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ وَالْأَرْضُ بِنَبَاتِ الْحَبَّ.

فَسِيرًا مَعَ تَفْسِيرِ الرَّوَايَةِ الْمَذَكُورَةِ، قَدْ صَرَّحَتِ الْلُّغَاتُ بِأَنَّ الرَّتْقَ يَعْنِي الْمُسْنَدُ الْمَجَمِعُ بِنَفْسِهِ، لَا الْانْضِمامُ بِشَيْءٍ آخَرِ، وَلَهُذَا فَيَنْحِلُّ الرَّتْقُ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَيُّ قَدْ رَتَقَ سَبَّانَهُ السَّمَاءَ رَتْقًا وَرَتَقَ الْأَرْضَ رَتْقًا لِأَنَّهُمَا كَانَتَا مُسْنَدَتِينَ وَمُنْضَمَتِينَ فِي وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ تَجَزَّئَتِ الْوُجُودُ الْبَسيِطُ وَتَرَكَبَتِ تَنَاسِبًا مَعَ عَالَمِ الدُّنْيَا، نَظِيرُ قَوْلِكَ: كَانَ زِيدٌ وَعُمَرٌ أَدِيبًا، أَيُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُعَدُّ أَدِيبًا.

2. وَالْخَطَأُ التَّالِيُّ الصَّادِرُ مِنْ صَاحِبِ الْمِيزَانِ هُوَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ قَائِلًا: إِنَّ الْآيَةَ تَوَدَّ الإِجَابَةَ عَلَى مُعْتَقَدِ الْكَفَّارِ الْوَثَنِيَّينَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَلَكِنَّ التَّدْبِيرَ بِيَدِ الْأَصْنَامِ، بَيْنَمَا قَدْ أَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الْخَلْقَ تُلَازِمُ التَّدْبِيرَ، فَلَا يَنْفَكُانَ، وَلَهُذَا قَدْ خَلَقُوهُمْ وَأَوْجَدُوهُمْ بِالرَّتْقِ ثُمَّ فَتَقُوهُمْ بِالتَّدْبِيرِ، وَإِلَيْكَ نَصَّ عِبَارَتِهِ:

المراد بالذين كفروا - بمقتضى السياق - هم الوثنيون حيث يفرقون بين الخلق والتدبر بنسبية الخلق إلى الله سبحانه و التدبر إلى الآلهة من دونه وقد بين خطأهم في هذه التفرقة بعطف نظرهم إلى ما لا يرتتاب فيه من فتق السماوات والأرض بعد رتقهما فإن في ذلك خلقا غير منفك عن التدبر، فكيف يمكن قيام خلقهما بوحد واحد و قيام تدبيرهما بآخرين.[1]

إلا أن تفسيره يُضاد ظاهر الآية الفائلة بأن كل واحدةٍ من السماوات والأرض قبل الخلقة كانت رتقاً ثم فتقهما فأصبحتا حادثتين ذات فعالية، فلم ينطِح موضوع التبشير ضمن الآية بل المتبادرُ من مجموع الآية هي مسألةُ الخلقة والإيجاد من خلال تعبيره تعالى بالرتق والفتق، فإنها من نمط الخلقة لا من نمط التبشير والتنظيم.

### العود إلى عينية الصفات مع الذات

و انطلاقاً من قاعدة: إن بسيطَ الحقيقة هو كُلُّ الأشياء. نقول بأن الله كُلُّ الوجودُ بل هو كُلُّ حقائق الوجودات أيضاً ولكن لا بحدودها الظاهري و نوافصها و شوائتها، بل هو تعالى يُعد مبدأً لحقائقها، وأما تلك النواقص والحدود فهي من متطلبات هذه الحياة الدنية المادية، ذات الأجزاء والتركيب، وليس كذلك حقيقتها، ولهذا نحن قد ركّزنا الأذهان إلى ما قبل خلق الماديات بحيث كان وجودُها رتفاً و مندرجًا آنذاك ضمن وجود الله تعالى؛ وبالتالي لا ضير لكي نعتقد بأن وجود الله تعالى قد احتوى على حقائقها الوجودية النورية المقتبسة من أصل وجود الله النوري.

و قد استدل الأسفار على عينية الصفات الذاتية مع الذات الإلهي، قائلاً:

الأول أن هذه الصفات الكمالية كالعلم والقدرة وغيرهما لو كانت زائدة على وجود ذاته لم يكن ذاته في مرتبة وجود ذاته مصداقاً لصدق هذه الصفات الكمالية فيكون ذاته بنفس ذاته عاريةً عن معاني هذه النعموت فلم يكن مثلاً في حد ذاته بذاته عالماً بالأشياء قادراً على ما يشاء وبالتالي باطل لأن ذاته مبدأً كل الخيرات والكمالات فكيف يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره فيكون للغير فيه تأثير فيكون منفعاً من غيره وإنه فاعل لما سواه فيلزم تعدد جهتي الفعل والانفعال وهو محال فكذا المقدم وأما لوازم الماهيات فهي ليست أموراً كمالية حتى يلزم من لزومها الماهية – أن يستفيد الماهية منها كمالاً فيلزم الإفاده والاستفادة الموجبتان لتكثُر الجهتين في الذات الواحدة بل هي أمور اعتبارية من توسيع الماهية.[2]

### استعراضُ الأسفار لمقالةِ أمير المؤمنين (عليه السلام)

و قد وقع في كلام مولانا وإمامنا مولى العارفين و إمام الموحدين ما يدل على نفي زيادة الصفات لله تعالى بأبلغ وجه و أكدَه حيث قال في خطبة من خطبه المشهورة - : أول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده و كمال توحيده الإخلاص له و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة - فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثناه و من ثناه فقد جزأه و من جزأه فقد جهله و من جهله فقد أشار إليه و من أشار إليه فقد حده و من حده فقد ضمه و من قال فيم فقد ضمه و من قال على م فقد أخلى منه انتهى كلامه المقدس على نبينا و عليه و آلـه السلام و الإكرام.

و هذا الكلام الشريف مع وجازته (و ملخصه) متضمن لأكثر المسائل الإلهية ببراهينها - و لنُشر إلى نبذ من بيان أسراره و أنموذج من كنوز أنواره.[3]

[1] الميزان في تفسير القرآن، ج 14، ص: 278.

[2] الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربع، قم - ايران، مكتبة المصطفوي، جلد: 6، صفحه: 133.

[3] الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربع، قم - ايران، مكتبة المصطفوي، جلد: 6، صفحه: 135.